مجلة المجمع العلمي

صورة المرأة في المؤلفات العراقية
الى نهاية القرن الخامس الهجري

الدكتورة ناهضة مطر حسن
كلية التربية ــ جامعة واسط

الملخص :

لا شك في إن دراسة واقع المرأة الحضاري وأثاره في المجتمع أصبحت حاجة ملحة في وقت اشتدت فيه التحديات التي تواجه وجودها ككائن حي يوصف بأنه نصف المجتمع له حقوق وعليه واجبات ، كما للرجال

يحاول البحث الإجابة عن عدة أسئلة يأتي في مقدمتها متى بدأ تأليف الكتب عن النساء ؟ وما هي أسباب اندفاع بعض الكتاب في الكتابة عن النساء وانكفاء البعض الأخر ؟ وهل كانوا بالمستوى الذي يمكن الوثوق فيه برواياتهم ؟ وأي المدن العراقية عرفت بكثرة كتاباتهم عن النساء ؟ وماذا تضمنت كتاباتهم ، أعنى هل كانت تردد الكلام التقليدي عن المرأة التي تغوي الرجل في كل زمان ومكان وإنها سبب الخطيئة أم أنها أنصفت المرأة التي شرفها الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ وهل كان للموروث الشعبي الذي يزدري المرأة ويحط من شانها اثر في مدى تقبل المجتمع لتلك الكتابات ؟ .

المقدمة :

لا شك في إن دراسة واقع المرأة الحضاري وآثاره في المجتمع أصبحت حاجة مُلحة في وقت اشتدت فيه التحديات التي تواجه وجودها ككائن حي يوصف بأنه نصف المجتمع له حقوق وعليه واجبات ، كما للرجل .

وقد تناول الكثير من الباحثين القدماء والمُحدَثين هذا الدور في كُتُبهِم ، حيث افرد بعضهم كتبا مستقلة للحديث عن النساء عموما ، الحُرة منهن والجارية وصفاتهُنَّ ــ المحمودة او المذمومة فيهُنَّ ــ أو في اللواتي أخذنَّ العلم حتى بلغنَّ مراحل متقدمة فيه ويظهر ذلك من خلال الألقاب العلمية التي حصلنَّ عليها مثل الحافظة والمسندة ، وأصبحت مرويات بعضهُنّ مِثالا في صدق الرواية والأمانة وفي تفسيرها ونقلها.

وكان للعراقيين ــ اعني بهم ممن سَكنَ العراق أصلا أو من اتخذه موطنا له ــ مؤلفات كثيرة وهي مختلفة في مواضيعها تُظهر التفاصيل الدقيقة التي لم تفتهم فرصة تدوينها في مؤلفاتهم ، وفي الواقع إن الكثير من أهل العلم كتبوا عن المرأة اعني الفقهاء والمؤرخين واللغويين والأدباء والأطباء ، وهم قدموا لنا المرأة من جهة العلم الذي حملوه اعني الفقيه قدمها من خلال عرض الأحكام الشرعية التي تحكم تصرفاتها وتعاملها مع الآخرين والمؤرخ قدم لنا أخبارا عن نساء عالمات مثقفات كُنَّ القدوة في المجتمع وأُخريات حاكمات وكذلك بالنسبة للأدباء والأطباء .

وفي بحثنا هذا سوف نتجاوز عن ما كتبه الفقهاء على اعتبار إن اغلب ما كتبوه هو أحكام فقهية عامة موجهة الى كل النساء في مختلف

العصور وكذلك عن تلك الأبيات الشعرية التي كتبها بعض الشعراء ضمن دواوينهم في حُبِ جارية أو قينة وسنركز على المؤلفات العراقية التي استقلت في عناوينها او محتوى مبحث من مباحثها عن المرأة تحديدا مع الأخذ بنظر الاعتبار إن كتب التراجم والطبقات قد ذكرت فصولا مستقلة عن النساء كما للرجال سنعتمدها ضمن المؤلفات التي كُتبتْ عن المرأة في الفترة موضوع البحث .

يحاول البحث الإجابة عن عدة أسئلة يأتي في مقدمتها متى بدأ تأليف الكتب عن النساء ؟ وما هي أسباب اندفاع بعض الكُتّاب في الكتابة عن النساء وإنكفاء بعضهم الآخر ؟ وهل كانوا بالمستوى الذي يمكن الوثوق فيه بروايتهم ؟ وأي المدن العراقية عُرفتْ بكثرة كتاباتها عن النساء ؟ وماذا تضمنتْ كتاباتهم ، اعني هل كانت تُرددْ الكلام التقليدي عن المرأة التي تغوي الرجل في كل زمان ومكان وإنها سبب الخطيئة أم أنها أنصفت المرأة التي شرّفها الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ وهل كان للموروث الشعبي الذي يزدري المرأة ويحط من شأنها اثرٌ في مدى تقبل المجتمع لتلك الكتابات ؟ .

دوافع وأسباب الكتابة عن النساء

اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد الأسباب التي دفعت الى تدوين العلوم في القرن الثاني الهجري هل كانت دينية فقط لغرض تدوين الحديث النبوي كما حددها الذهبي في عام

(١٤٣ هـ/٧٦٠م)[١] أم كان تدوين الحديث النبوي قد رافقه تدوين علوم أخرى مثل علوم القرآن وحفظ الأخبار والآثار والأنساب[٢] ، ومهما اختلفت وجهات نظرهم فانه كما يبدو من المؤلفات التي وصلت ألينا من القرن الثاني الهجري فأن التدوين وإن ابتدأ بتدوين الحديث النبوي لكن المسلمين دونوا الى جانبه علوما أخرى في علوم القرآن والأنساب والأخبار والطب[٣] ، ومن المؤكد أنهم دونوا أخبارا كثيرة عن نساء تميزنَّ سواءً كان في العلم أم في صفاتهُنَّ التي أثارت انتباه الكتاب والمؤرخين ، فانطلقوا في الكتابة عنهُنَّ .

وقد كان للازدهار الحضاري والترف الفكري الذي شهده العراق وتحديدا بغداد مركز الخلافة العباسية والذي تمثل من خلال دعم الخلفاء العباسيين للعلم والثقافة ، قد ساهم في تنوع الكتابات والمؤلفات ، في مختلف فنون المعرفة ، فضلا عن ذلك فقد كان للحياة المترفة التي عاشها الخلفاء العباسيون في قصورهم ، واتخاذهم الكثير من الجواري ممن تميز بعضهُنَّ بالشعر والأدب واللغة في حين وصف بعضهُنَّ بالجمال والدلال

---

[١] محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عمر عبد السلام ، ط١ (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٨) ج٦ /ص٦ .

[٢] نزار عبد اللطيف الحديثي ، علم التاريخ عند العرب (المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠٠١) ص٥٤ .

[٣] مصطفى شاكر ، التاريخ العربي والمؤرخون (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩) ج١/ ص٩٣ _ ١٠١ .

ـ بغض النظر عن الآثار السلبية التي سببتها القينات في المجتمع ـ أن تكون له أثاره على واقع النساء عموما[٤] .

كما عكست كتاباتهم ، الواقع الذي عاشته النساء عموما سواءً الحرة منهُنَّ ممن تثقف البعض منهُنَّ بثقافة عالية فبرزنَّ في العلم والأدب واللغة أم الجواري والإماء اللواتي ازدادت أعدادهُنَّ بتأثير حركة الفتوحات الإسلامية ، وقد قدر لبعضهُنَّ الارتقاء الى مرتبة زوجات وأمهات الخلفاء العباسيين في حين ظل البعض الآخر منهُنَّ تحت وطأة المجون والخلاعة[٥] .

حاولنا في هذا البحث جرد المؤلفين العراقيين ـ من خلال كتب التراث العربي الإسلامي ـ الذين كتبوا عن المرأة وعناوين مؤلفاتهم بغض النظر عن وصول كتبهم أم لا ، والغرض من ذلك هو تحديد مكانة المرأة وأثرها في المجتمع الذي عبر عن تقديره لها من خلال الكتابة عنها ، مما يعني عمق المساحة واتساعها التي شغلتها المرأة أمام الرجل العراقي ـ في الفترة موضوع البحث ـ وقوة تأثيرها في المجتمع لذلك كان تناولهم للمواضيع التي تخص المرأة ، متنوعا تماما .

ومن اللافت للانتباه إن الذين كتبوا عن النساء هم من كبار الكُتاب والمؤرخين ممن عُرفوا بالصدق في رواياتهم ومعرفتهم في الأنساب

---

[٤] احمد امين ، ظهر الاسلام ، ط١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤) ج١ / ص ١٠٢ ؛ توفيق سلطان اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الاسلامية ، ط٢ (جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٧٩) ص٢١٢ .

[٥] الاطرقجي ، واجدة ، المرأة في ادب العصر العباسي (دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١) ص٤٧ .

والسير وأيام الناس ويظهر ذلك من خلال الألقاب العلمية التي حملوها فمنهم من وصف " أفصح الناس "[٦] أو "إخباري راوية شاعر من الرواة"[٧] أو من "المصنفين للكتب"[٨] أو من "النسابين"[٩] وممن كان "عالما بأيام العرب والفتوح والمغازي"[١٠] .

أي المدن تميزتْ بكثرة كتاباتها عن النساء

شهد القرن الثاني الهجري اهتماما بتدوين مؤلفات مختلفة وكان للنساء نصيب منها ، ومن خلال مراجعتنا للكتب التي سجلت التراث العربي الإسلامي وجدنا عناوين كثيرة لمؤلفات سجلها العراقيين عن المرأة ، لم تصل الينا مضامينها ، لكننا نحاول أن نستشف من خلال عناوينها ،

---

[٦] ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت ٣٨٠هـ/ ٩٦٣م) الفهرست ، ضبطه وشرحه يوسف علي الطويل ، ط٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢) ص٨١ النضر بن شميل ؛ وص ١٩٥ محمد بن عبد الله العتبي .

[٧] ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٧٦ الحسن بن عثمان الزيادي .

[٨] ابن النديم ، ص ١٥٨ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ؛ الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد او مدينة السلام ، تحقيق مصطفى عبد القادر (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤) ج١٠ /ص ١٦٨ ، ٥٣٠٩ عبد الله بن مسلم بن قتيبة ؛ وج ١٢ /ص ٢٠٨ ، ٦٦٦٩ عمرو بن بحر الجاحظ ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم الادباء (دار المستشرق ، بيروت ، بلا) ج٥ / ص ٢٥ ، ٧٤٥ لقيط بن بكير .

[٩] ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٥١ خالد بن طليق وص ١٥٣ هشام بن محمد الكلبي وص ١٦٠ الهيثم بن عدي .

[١٠] ابن النديم ، ص١٦١ علي بن محمد المدائني وص ١٥٧ محمد بن عمر بن واقد .

مستوى الرُقي الذي وصل إليه العراقيون في التعامل مع النساء بشكل قد يفوق في بعض الأحيان ما هم عليه في الوقت الحاضر[١١] .

كانت الكوفة والبصرة سباقتين في مجال التأليف عن النساء في القرن الثاني الهجري وما أن حلَّ القرن الثالث الهجري حتى ازدادت المؤلفات فيهُنَّ حيث برزت بغداد مركزا للحضارة العربية الإسلامية وتوافد إليها العلماء ، وبدأ الاحتكاك الحضاري وازدادت حركة الترجمة ، وتنوعت الكتابات ولاسيما فيما يخص المرأة التي كُتبَ عنها بكل صورها الأم والأخت والزوجة والابنة[١٢] وذلك وفقا لعناوين المؤلفات التي وصلت ألينا في كتب التراث .

١ ــ البصرة

تنوعت كتابات البصريين في القرن الثاني الهجري في عناوينها ومحتواها فقد كتب خالد بن طليق بن محمد بن عمران الخزاعي البصري (ت ١٦٦هـ / ٧٨٢م) كتابه عن النساء بعنوان "المزّوجات"[١٣] أو "المتزوجات"[١٤] ، لم يصل الينا ، قد يكون دُّونَ فيه أحكام عن الزواج وأسماء المتزوجات في البصرة باعتباره قاضيها .

---

[١١] ينظر الجدول رقم ، ص ١١ .

[١٢] الاطرقجي ، المرأة ، ص ٤٦ .

[١٣] ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٥١ .

[١٤] سزكين ، فؤاد ، تاريخ التراث العربي ، نقله للعربية د. محمود فهمي حجازي (جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٩١) مج١ ، ج٢ ، ص ٤٥ .

ثم تواصلت اهتماماتهم في القرن الثالث الهجري بشكل فاق ما هو عليه الأمر عند الكوفيين حيث وجدنا سبعة مؤلفين كتبوا عن المرأة في مقدمتهم النضر بن شميل بن خرشة النحوي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) الذي خصص بابا من كتابه "الصفات"بعنوان "خلق الإنسان وصفات النساء"[١٥] كما كتب العباس بن بكار الضبي (ت٢٢١هـ / ٨٣٦م) كتابا فيه "أخبار الوافدات من النساء من أهل الكوفة والبصرة على معاوية بن أبي سفيان"[١٦] حيث ذكر أخبار النساء اللواتي كانت لهن مواقف معينة معه ، فأرسل أليهُنَّ لمعاتبتهُنَّ[١٧] وهو يرغب من وراء ذلك الاستماع لاجوبتهُنَّ وردهُنَّ عليه بما عُرف عنهُنَّ من الحكمة والبلاغة[١٨] .

وفي الواقع فقد غطت المؤلفات التي كتبها علي بن محمد بن عبد الله المدائني البصري أبو الحسن(ت ٢٢٤او ٢٢٥هـ / ٨٣٨م أو ٨٣٩م) على المؤلفات الأخرى للكُتّاب البصريين حتى وصفه الخطيب البغدادي بأنه "صاحب الكتب المصنفة"[١٩] ويبدو من خلال مصنفاته أن المرأة قد شغلت حيزا كبيرا من كتبه ، إذ انه كان مُدركا تماما لأهميتها ومكانتها في

---

[١٥] حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣) ج٢ / ، ص ١٤٣٢ .

[١٦] حققت الكتاب سنية الشهابي ، ط١ (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣) ج١/ص٥٩ ؛ سزكين ، مج١ / ج٢ ، ص١٣٨ ، ١٠ .

[١٧] ينظر العباس بن بكار الضبي ، اخبار الوافدات ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ٢ عكرشة بنت الاطش وج١ ص ٢٧ ام الخير بنت الحريش .

[١٨] ينظر م . ن ج١ ، ص ٣٦ ، ٣ جروة بنت مرة .

[١٩] تاريخ ، ج١٢ / ص ٥٤ ، ٦٤٣٨ .

المجتمع ، لذلك فقد صنف ما جمعه عن النساء على وفق وحدة الموضوع ، لم تصل الينا ، لكن يظهر من خلال عناوينها الإمكانية العلمية التي تمتع بها ألمدائني وقُدرته وسعة معلوماته ، ومن هذه المؤلفات كتابه عن " النساء الناشزات "[٢٠] حيث جمع فيه ما وقع تحت يديه من النساء اللاتي خرجنَّ عن طاعة أزواجهُنَّ فيه[٢١] وكذلك كتاب "الكلبيات العوانك"[٢٢] والعوانك هُنَّ النساء اللاتي يكثرنَّ من الطيب حتى تحمر بشرتهُنَّ[٢٣] فهو قد جمع فيه الكلبيات من تميزنَّ بتلك الصفة ، كما جمع في كتابه "النساء الفوارك"[٢٤] وهُنَّ النساء اللاتي كَرهَنَّ وابغضَنَّ أزواجهُنَّ[٢٥] ، وهكذا في باقي كتبه مثل "المُردِفات من قريش"[٢٦] وكتاب "من تشبه من النساء بالرجال"[٢٧] وكتاب "أخبار النساء"[٢٨] وكتاب

---

[٢٠] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٢١]) الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر (مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥) ج١٠ /ص ٢٧٥ .

[٢٢] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٢٣] ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب ، ط١ (دار صادر ، بيروت ،) ج١٠ /ص ٤٦٤ .

[٢٤] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٢٥] ابن منظور ، لسان ، ج ١٠ /ص ٤٧٤ .

[٢٦] ابن النديم ، ص١٦١ يقول سزكين انه يتضح من كتاب المردفات الذي وصل الينا انه لم يتناول الشاعرات بل الشعر المنظوم في النساء ينظر كتابه تاريخ التراث ، مج٢ /ج١ ، ص٩٩ .

[٢٧] سزكين ، تاريخ ، مج١ ، ج٢ ، ص١٤٠ ، ١٢ .

[٢٨] م . ن ، مج٢ ، ج١ ص١٠٠ .

"الفاطميات"[٢٩] وكتاب"ممن نهيت عن تزويج رجل فتزوجته"[٣٠] وكتاب "المغتربات"[٣١] وكتاب"القينات"[٣٢] .

فضلا عن ذلك فقد جمع في بعض كتبه مواضيع ترتبط بالمرأة لكن في جهة وظيفتها كأم ومقدار تأثيرها في أبنائها مثل انتساب بعض الشعراء الى أمهاتهم حيث ألف كتابا في ذلك بعنوان "من نسب الى أمه من الشعراء"[٣٣] وكتاب "ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه"[٣٤] .

ومن جهة أخرى تأثيرهُنَّ في قلوب اعتى الرجال منها كتاب "من وصف امرأة فأحسن"[٣٥] ومواضيع متنوعة منها كتاب"من تزوج ابنه امرأته"[٣٦] وكتاب"من تزوج مجوسية"[٣٧] وكتاب"من هجاها زوجها ومن

---

[٢٩] البغدادي ، اسماعيل باشا ، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٣) ج٤/ ص ٣٣ .

[٣٠] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٣١] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٣٢] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٣٣] ينظر ميخائيل عواد ، مخطوطات المجمع العلمي العراقي دراسة وفهرسة (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٩) ج٣ ، ص٣٠٠ ، رقم ١٥ مجاميع ؛ سزكين ، تاريخ ، مج٢ ، ج١ ، ص١٥٨ .

[٣٤] م . ن .

[٣٥] ابن النديم ، ص١٦١ .

[٣٦] م . ن .

[٣٧] م . ن .

شكت زوجها أو شكاها "[٣٨] وكتاب "من أكثر من أربع نساء"[٣٩] وكتاب "من تزوج من نساء الخلفاء"[٤٠] .

كما ألف محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن ابي سفيان (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م) كتابا عن " أشعار النساء اللاتي أحببْنَ ثم ابغضْنَ"[٤١] في حين خصص محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) قسما من كتابه الطبقات الكبرى بعنوان "طبقات النساء"[٤٢] ذكر فيهُنَّ زوجات الرسول وبنات وعمات وبنات عمومة رسول الله والصحابيات والمهاجرات اللواتي روينَّ الحديث النبوي وكذلك الأمر بالنسبة الى خليفة بن خياط أليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) الذي خصص قسما للنساء في كتابه الطبقات حيث ذكر راويات الحديث من مختلف القبائل من قريش ثم من بني هاشم...وهكذا بقية القبائل[٤٣] .

كما ألف عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م) كتابا في النساء يقول عنه الذهبي انه يتضمن الفرق ما بين الذكر والأنثى[٤٤] كما

---

[٣٨] م . ن .

[٣٩] م . ن .

[٤٠] م . ن .

[٤١] ابن النديم ، ص ١٩٥ ؛ سزكين ، مج١ /ج٢ ، ص٢٦٧ ، ٥ .

[٤٢] دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط٢ (دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧) مج٨ .

[٤٣] تحقيق اكرم ضياء العمري ، ط٢ (دار طيبة ، الرياض ، ١٩٨٢) .

[٤٤] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط٩ (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ) ج١١/ ص٥٢٨ .

ذكرت لـــه رسالة أخرى بعنوان " رسالة في العشق والنساء"[٤٥] وكتـــاب "أمهات الأولاد"[٤٦] .

أما في القرن الرابع الهجري فقد عثرنا على مؤلف واحـــد بعنـــوان "أشعار الجواري"[٤٧] للمفُجَّع محمد بن احمـــد البـــصري (ت ٣٢٧هـــ / ٩٣٨م) ، في حين لم تصل ألينا أية مؤلفات من القرن الخامس الهجري ، لأسباب مختلفة تخص التحديات التي عانى منها العراق عموما فـــي تلـــك المرحلة ، والتي سنأتي على ذكرها لاحقا .

يبدو من عناوين المؤلفات هذه المكانة التي شغلتها المرأة في المجتمع البصري ، ما يعطي دليلا لا يقبل الشك على الانفتـــاح الـــذي تميـــز بـــه المجتمع البصري عموما والمرأة البصرية خصوصا .

٢ ــ الكوفة

لم تصل المؤلفات التي كتبها الكوفيون في القرن الثاني الهجري عن المرأة ، بإستثناء عنوان واحد وهـــو "كتاب النساء"[٤٨] لمؤلفه لقـــيط بـــن

---

[٤٥] بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ط٥ ، نقله الى العربية د . عبـــد الحلـــيم النجار (دار المعـــارف ، القـــاهرة ، بـــلا) ص ١١٥ ؛ ينظـــر مقدمـــة المحقـــق حسن السندوبي لكتـــاب البيـــان والتبيـــين ، ط١ (المطبعـــة التجاريـــة الكبـــرى ، القاهرة ، ١٩٢٦).

[٤٦] بروكلمان ، تاريخ ، ص ١٢٣ .

[٤٧] يذكر سزكين انه لم يتمه ينظر سزكين ، مج٢ /ج٤ ، ص٦٠ ؛ الـــصفدي ، صـــلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـــ / ١٣٦٢م) الوافي بالوفيـــات ، تحقيـــق احمـــد الارناؤوط وتركي مصطفى (دار احياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠)ج١ /ص ١٣٠.

[٤٨] ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٥ / ص ٢٥ ، ٧٤٥ .

بكير ألمحاربي الكوفي (ت ١٩٠هـ / ٨٠٥ م) ، لا نعرف ماذا تضمن إلا انه يمكن أن نستنتج من خلال الكتب التي وصلت الينا[٤٩] ـ والتي تحمل عناوين مماثلة ـ أنه تناول خلقهُنَّ وأخلاقهُنَّ والحث على النكـاح ممـن تميزنَّ بصفات خاصة ومساوئ محادثتهُنَّ...الخ ، وقد عُدَّ هذا الكتاب من أحسن كتبه[٥٠] .

كما عثرنا على ستة مؤلفات اخرى عن النساء كُتبتْ في القرن الثالث الهجري ، يأتي في مقدمتها ما كتبه هشام بن محمد بن السائب بن الكلبـي (ت٢٠٤ وقيل ٢٠٦هـ / ٨١٩ وقيل ٨٢١م) منها كتاب "الموءودات"[٥١] الذي ذكر فيه القبائل والأسر التي عُرفتْ بؤأدها بناتها وكتاب"المُعَّرفات من النساء في قريش"[٥٢] يبدو انه تناول فيه النساء المتميزات في قريش وكتاب "أمهات النبي"[٥٣] وكتاب"أمهات الخلفاء"[٥٤] "وكتاب "العواتك"[٥٥] ويـذكره ابن النديم باسم "العواقل"[٥٦] .

---

[٤٩] ينظر كتاب النساء وهو فصل من كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ، عبد الله بن مـسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) ط١ (دار الفكر ،بيروت ، ٢٠٠٢) ص٦٣٢ .

[٥٠] ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٥/ ص ٢٥ ، ص٧٤٥ .

[٥١] ابن النديم ، ص ١٥٣ .

[٥٢] م . ن ، ص ١٥٤ .

[٥٣] الصفدي ، الوافي ج ٢٧ / ص٢١٢ ، ٣ .

[٥٤] م . ن .

[٥٥] م . ن .

[٥٦] العواقل جمع عاقلة وهي الزوجة الكريمة ينظر ياقوت الحمـوي ، معجـم ، ج ٥ / ص ٥٩٥ ، ١٠١٦ .

وكتب الهيثم بن عدي بن زيد الطائي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) كتاب"النساء"[٥٧] وكذلك عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) له كتاب "النساء"[٥٨] وهو فصل من كتابه عيون الأخبار تناول فيه أخلاقهُنَّ وخلقهُنَّ وباب الحُسنِ والجمال والحثْ على النكاح ومساوئ محادثتهُنَّ كما ذكر له حاجي خليفة كتاب "الإماء الشواعر"[٥٩] وكتاب "النساء الشواعر"[٦٠] وللحسن بن عثمان الزيادي أبي حسان (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) كتاب "الآباء والأمُهات"[٦١] كما كتب كل من احمد بن خالد بن عبد الرحمن أبو جعفر البرقي (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)[٦٢] وحفص بن عمر ابو عمر العنبري (ت في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)[٦٣] كتبا تحمل عناوين "النساء" .

أما في القرنين الرابع والخامس الهجريين فلم تصل إلينا عن الكوفيين أية مؤلفات عن النساء ، ويبدو أن أسبابا مختلفة قد دفعت الى انصراف الكُتاب في البصرة والكوفة عن الكتابة في النساء الى حدٍ كبير تأتي في مقدمتها الأوضاع السياسية المتدهورة للدولة العباسية لا سيما مع تدخل

---

[٥٧] ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٦٠ ؛ الصفدي ، الوافي ، ج ٢٧ /ص ٢٣٨ ، ٣ .

[٥٨] ينظر ط١ (دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢) ص ٦٣٢ .

[٥٩] ينظر كشف الظنون ، ج٢/ص ١١٠٢ .

[٦٠] م . ن .

[٦١] ابن النديم ، ص١٧٦ .

[٦٢] الصفدي ، الوافي ، ج٧ / ص ٢٥٥ .

[٦٣] ابن النديم ، ص ١٦١ .

الأجانب في شؤون السلطة[٦٤] وكذلك ظهور الحركات السياسية ـــ الاجتماعية التي أشاعت الفوضى وعدم الاستقرار في البلاد مثل حركة الزنج والقرامطة[٦٥] ، فضلا عن تحول الكثير من العلماء والأدباء والكتاب الى حاضرة الخلافة العباسية بغداد ، التي أصبحت قبلة للعلم والعلماء[٦٦] .

٣ ــ واسط

عُرفتْ واسط بفقرها فيما يخص الكتابات التي وصلت الينا عن النساء ، والسبب في ذلك هو ضياع الكثير من المؤلفات التي كتبها الواسطيون[٦٧] لكننا وجدنا في كتاب " تاريخ واسط" لمؤلفه أسلم بن سهل الرزاز بحشل الواسطي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) انه ذكر فصولا عن نساء واسط ممن روين العلم عن زوجات الرسول(**صلى الله عليه وسلم**) والصحابة والصحابيات ...الخ[٦٨] .

٤ــ بغداد

أولى البغداديون عناية كبيرة بالكتابة عن المرأة وكانت لهم فيهُنَّ مؤلفات متميزة حتى أصبحوا في مقدمة الكُتّاب العراقيين في الكتابة عنهُنَّ حيث عثرنا على سبعة مؤلفات من القرن الثالث وستة من القرن الرابع

---

[٦٤] فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط٢ (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٧) ص٦١ .

[٦٥] م . ن ، ص ١٤٤.

[٦٦] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١ /ص ٦٨ .

[٦٧] فاضل جابر ضاحي ، دعوة التعريف بمؤرخي واسط بحث مشارك في الندوة العلمية الاولى (جامعة واسط ، ٢٠٠٥) ص١٠ .

[٦٨] تحقيق كوركيس عواد ، ط١ (دار الكتب ، بيروت ، ١٤٠٦) ج١ /ص ٧٠ .

الهجريين وثلاثة أخرى في القرن الخامس الهجري[٦٩] ويأتي في مقدمة هؤلاء محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) منها كتاب " أزواج النبي"[٧٠] ، كما الف محمد بن حبيب الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) كتابه عن " أمهات النبي"[٧١] وكتابه " أمهات أعيان عبد المطلب "[٧٢] وكتابه "أمهات السبعة من قريش"[٧٣] كما وصل ألينا مجموع لايزال مخطوطا فيه كتاب " من نسب الى أمه من الشعراء برواية ابن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ/٨٦٠م)[٧٤] .

كما أولى الأطباء في بغداد عنايتهم بالنساء ومعالجة الأمراض التي عانيَّنَ منها ومنهم يحيى بن ماسويه (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) الذي خدم الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وألف كتابه " علاج النساء اللاتي لا يحبلَّنْ حتى يحبلَّنْ"[٧٥].

وقد يجد بعض ندماء الخلفاء ، في الكتابة عن النساء وصفاتهُنَّ والحث على الزواج ، تجاوبا من جانب الخلفاء ، الذين يجدون في ذلك ترفيها لهم ، لذلك فقد شجعوا ندماءهم على ذلك ومنهم نديم الخليفة المتوكل على الله ، محمد بن حسان ألنملي

---

[٦٩] ينظر الجدول المرفق ، ص .

[٧٠] سزكين ، مج١ /ج٢ ، ص١٠٦ .

[٧١] ابن النديم ، ص ١٧١ .

[٧٢] م . ن .

[٧٣] م . ن .

[٧٤] مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١٥ مجاميع .

[٧٥] ابن النديم ، ص ٤٦٥ ؛ البغدادي ، هدية ، ج٦ /ص ٥١٥ .

(ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) الذي ألف كتابه "حباحب في أخبار النساء وألباه"[٧٦] ، وكذلك كتب احمد بن الحارث بن المبارك (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م) " كتاب " أبناء السراري"[٧٧] وكتاب" مغازي النبي وسراياه وذكر أزواجه "[٧٨].

يبدو أن ما تميز به بعض النساء من البلاغة والشعر قد جذبت أنظار الكُتاب الذين دونوا أخبار بلاغاتهُنَّ ومنهم الكاتب احمد بن ابي طاهر بن طيفور (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) حيث جمع في كتابه "بلاغات النساء" أخبارا عن ذوات الرأي منهُنَّ وأشعارهُنَّ وأجوبتهُنَّ وطرائق كلامهُنَّ وملح نوادرهُنَّ ويبدو أن ابن طيفور كان معجبا بما وصله من أخبار بلاغات النساء لهذا فهو يقول " هذا مما وجدناه يجاوز كثيرا من بلاغات الرجال المحسنين والشعراء المختارين "[٧٩] .

كما ألف هارون بن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم (ت في ٢٨٨هـ وقيل ٢٩٠هـ / ٩٠٠ وقيل ٩٠٢م) ـ كان والده نديما للخلفاء

---

[٧٦] ياقوت الحموي ، معجم ، ج٥ /ص٢٩١ ،٨٤ ؛ البغدادي ، اسماعيل باشا ، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٣) ، ج٦ / ص١٤ .

[٧٧] ابن النديم ، ص ١٦٩ ؛ البغدادي ، ايضاح ، ج٣ /ص ٣٧ .

[٧٨] م . ن .

[٧٩] طبع في (مكتبة بصيرتي ، قم ، ١٣٦١هـ) ويقول فؤاد سزكين ان هذا الكتاب هو جزء من كتاب المنثور والمنظوم الذي وصل الينا وحقق ينظر مج٢ /ج١ ، ص١٠٣.

منذ أيام الخليفة المتوكل الى أيام المعتمد على الله ـ[٨٠] كتابه الذي حمل عنوان " النساء وما فيهُنَّ من الخير ومحاسن ما قيل فيهُنَّ من الشعر والكلام الحسن"[٨١] .

استمرت كتابات البغداديين عن النساء في القرن الرابع الهجري وبشكل لافتٍ للنظر ، اذ استمرت نظرة التقدير والإعجاب لهُنَّ فقد ألف محمد بن خلف بن المرزبان الآجري ألمحولي (ت ٣٠٩هـ / ٩٢١م) "كتاب النساء والغزل"[٨٢] وكذلك محمد بن احمد بن عبد الله بن إسماعيل ابن أبي الثلج (ت ٣٢٥هـ / ٩٣٦م) له كتاب " أخبار النساء الممدوحات"[٨٣] وعبد العزيز بن إبراهيم بن بيان الرئيس أبو الحسين بن النعمان الكاتب (ت ٣٥١هـ / ٩٦٢م) له كتاب " أخبار النساء في عشرة مجلدات"[٨٤] ومحمد بن عمران بن موسى بن عبد الله المرزبان (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) له " اشعار النساء "[٨٥] فيها اكثر من خمسمائة ورقة وقيل ستمائة

---

[٨٠] ياقوت الحموي ، معجم ، ج٥/ص ٥٨٠ ، ١٠٠٢ .

[٨١] ابن النديم ، ص ٢٣٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات ، ج٦ / ص٧٨ ؛ الصفدي ، الوافي ، ج٢٧ /ص ١١٧ ؛ الذهبي ، سير ، ج١٣ ، ص ٤٠٤ ، ٩٣ ؛ البغدادي ، هدية ، ج٦/ص ٥٠٣ .

[٨٢] البغدادي ، هدية ، ج٦ /ص ٢٦ .

[٨٣] م . ن ج٦/ص ٣٤ .

[٨٤] ابن النديم ، ص ٢١٦ ؛ الصفدي ، الوافي ، ج٢٧ /ص ٢٣٨ .

[٨٥] ابن النديم ، ص ٢١١ ؛ يذكر سزكين ان الكتاب حقق يتنظر تاريخ التراث ، مج٢/ج١، ص١٠٣ .

ورقة[٨٦] وعلي بن الحسين بن محمد أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) له كتاب " الاماء الشواعر"[٨٧] كما ذكر محمد بن اسحاق بن النديم (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) فصلا في كتابه الفهرست عن "شعر النساء الحرائر والمماليك"[٨٨] وكذلك "أسماء الحبائب المتظرفات"[٨٩].

اما في القرن الخامس الهجري فقد كتب كل من محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن حاجب النعمان (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)[٩٠] ومحمد بن محمد بن سهل الشلحي العكبري (٤٢٣هـ/١٠٣٢م)[٩١] كتابين حملا عنوانا متشابها وهو"النساء الشواعر" كما جمع محمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) في كتابه تاريخ بغداد تراجم لثلاثين امرأة ممن عرفنَّ بالفضل ودراسة العلم[٩٢] .

---

[٨٦] البغدادي ، هدية ، ج٦/ص ٥٤ .

[٨٧] سزكين ، تاريخ التراث ، مج ١/ج٢ ، ص٢٨٠ ، ٢٠ .

[٨٨] ينظر كتابه ص ٢٦٦ .

[٨٩] م . ن ، ص ٤٧٩ .

[٩٠] حاجي خليفة ، كشف ، ج٢ /ص ١٤٦٦ .

[٩١] م . ن ، ج٢/ص ١٤٦٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، ط١، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٧) ج٢٩/ص ١١٦ .

[٩٢] ذكرناه اعلاه ، ج١٤ /ص ٤٣١ ، ٧٨٠٠ .

الخلاصة :

يتبين لنا أنَّ المرأة العراقية شغلت حيزا كبيرا في كتابات العراقيين ، وعلى الرغم من عدم وصول اغلب هذه المؤلفات إلا أن ما وصل ألينا من عناوين هذه المؤلفات يبين مقدار الاهتمام الذي نالته المرأة ، التي أثارت انتباه المجتمع بأمور كثيرة منها ثقافتها وشخصيتها أو جمالها وملابسها ... الخ ، هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار أنَّ الأمر الأكثر جاذبية ، كما يتبين من خلال مؤلفات الكُتاب فيهُنَّ هو بلاغتهُنَّ وحكمتهُنَّ ، وقد ترافق هذا الاهتمام مع ما كان من تشجيع اغلب الخلفاء العباسيين في الحديث عن النساء حيث برزت مكانتهُنَّ واضحة في هذا العصر .

ويظهر إن اهتمام أهل البصرة كان كبيرا في الكتابة عن النساء ولا بد من أن يكون لانفتاح المجتمع على ثقافات متنوعة واستقرار الأوضاع السياسية أثر كبير في ذلك .

وتأتي الكوفة بعدها التي غطت الأحداث السياسية على نشاط كُتابها وان برز منهم من كتب عن النساء كما ذكرنا آنفا .

وكانت بغداد البودقة التي ضمت نشاط الكُتاب العراقيين حيث تنوعت مواضيعها ، لاسيما تلك التي كُتبتْ عن النساء ، حتى في فترات الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي مر بها المجتمع الى نهاية القرن الخامس الهجري .